مجموعة قصص الأنبياء

بإشراف
محمد أحمد برانق



١٢

موسى وبنو إسرائيل عليه السلام

تصدرها
دار المعارف

مجموعة قصص الأنبياء

١٢

موسى وبنو إسرائيل

بإشراف
محمد أحمد برانق
المفتش العام بوزارة التربية والتعليم بمصر

تصدر عن
دار المعارف بمصر

خَرَجَ مُوسَى بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ بِأَمْرِ اللهِ بَعْدَ أَنْ أَنْجَاهُمُ اللهُ مِنْ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ الَّذِينَ كَانُوا يُلَاحِقُونَهُمْ ، كَيْ يَقْبِضُوا عَلَيْهِمْ ، وَيُعِيدُوهُمْ إِلَى الذُّلِّ وَالْعُبُودِيَّةِ وَذٰلِكَ بَعْدَ أَنْ فَرَقَ اللهُ بِقُدْرَتِهِ مَاءَ بَحْرِ سُوف لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَكَانَ يَقَعُ بَيْنَ خَلِيجِ السُّوَيْسِ وَالْبُحَيْرَةِ الْمُرَّةِ؛ فَلَمَّا مَرُّوا، وَأَرَادَ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ أَنْ يَتْبَعُوهُمْ — أَطْبَقَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ ، فَغَرِقُوا جَمِيعاً، وَأَنْجَى اللهُ جُثَّةَ فِرْعَوْنَ ، لِيَكُونَ لِمَنْ خَلْفَهُ عِظَةً وَعِبْرَةً فَالْتُقِطَتْ بَعْدَ ذٰلِكَ ، وَحُنِّطَتْ ، كَمَا كَانَ يُحَنِّطُ الْمِصْرِيُّونَ جُثَثَ مَوْتَاهُمْ ، وَهِيَ الْآنَ بِالْمُتْحَفِ الْمِصْرِيِّ تَشْهَدُ بِذٰلِكَ .

وَسَارَ مُوسَى بِقَوْمِهِ وَهُمْ فَرِحُونَ بِنَجَاتِهِمْ، وَهَلَاكِ عَدُوِّهِمْ، وَكَانَتِ النِّسَاءُ يَضْرِبْنَ بِالدُّفُوفِ ، وَيَرْقُصْنَ، وَيُغَنِّينَ، فِي نَشْوَةٍ وَسُرُورٍ وَعَلَى رَأْسِهِنَّ مَرْيَمُ أُخْتُ مُوسَى وَهَارُونَ .

وَمَرَّتْ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَهُمْ فِي فَرَحِهِمْ وَنَشْوَتِهِمْ ، لَا يَدْرُونَ إِلَى أَيْنَ هُمْ يَسِيرُونَ ، وَلَا فِي أَيِّ

مَسْلَكٍ مِنْ مَسَالِكِ الصَّحْرَاءِ يَضْرِبُونَ ، حَتَّى انْتَبَهُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَتَبَيَّنُوا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا الطَّرِيقَ الَّذِى كَانُوا يَنْشُدُونَ .

كَانَ مُوسَى قَدْ وَاعَدَ بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَلَى أَثَرِ خُرُوجِهِمْ مِنْ مِصْرَ بِتَعَالِيمِ اللهِ الَّتِى تُبَيِّنُ لَهُمُ الْحَلَالَ مِنَ الْحَرَامِ ، وَتُفَرِّقُ لَهُمْ بَيْنَ الطَّيِّبِ وَالْخَبِيثِ لِيَتَّبِعُوهَا، وَيَسِيرُوا عَلَى هُدَاهَا ؛ فَاتَّجَهَ إِلَى اللهِ ، يَسْأَلُهُ أَنْ يُرْشِدَهُ إِلَى مَا يَتَّبِعُ ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ : إِنَّ مَوْعِدَكَ مَعَنَا يَا مُوسَى جَانِبَ الطُّورِ ، فَأَعِدَّ نَفْسَكَ لِمُخَاطَبَتِى ، بِأَنْ تَصُومَ عَنِ الطَّعَامِ شَهْرًا ! !

مَا أَشَدَّ فَرَحَكَ يَا مُوسَى بِوَعْدِ اللهِ الَّذِى وَاعَدَكَ عَلَيْهِ ! ! وَمَا أَكْثَرَ سُرُورَكَ لِمُخَاطَبَتِكَ لَهُ ! ! وَشَرَعَ مُوسَى يُعِدُّ نَفْسَهُ لِتَرْكِ قَوْمِهِ وَالذَّهَابِ إِلَى مَوْعِدِ اللهِ . . ! ! فَسَارَ وَإِيَّاهُمْ يَبْغِى الْجَنُوبَ . وَلَكِنَّ بَنِى إِسْرَائِيلَ كَانُوا قَدْ مَلُّوا السَّيْرَ ، وَذَهَبَ عَنْهُمُ الْفَرَحُ الَّذِى اسْتَخَفَّهُمْ لِنَجَاتِهِمْ وَخَلَاصِهِمْ مِنْ فِرْعَوْنَ ، فَمَالُوا إِلَى أَنْ يَنْزِلُوا بِجِوَارِ قَوْمٍ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، مَرُّوا عَلَيْهِمْ أَثْنَاءَ سَيْرِهِمْ ، وَقَالُوا لِمُوسَى : لِمَاذَا لَا نَتَّخِذُ لَنَا إِلَهًا كَمَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ آلِهَةٌ . . ؟ !

وَكَادَ مُوسَى أَنْ يَصْعَقَ . . ! ! أَقَوْمُهُ الَّذِينَ أَخْرَجَهُمْ مِنَ

الذُّلِّ وَالْعَذَابِ لِيَعْبُدُوا اللهَ أَحْرَارًا يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا لأَنفُسِهِمْ إِلٰهًا غَيْرَهُ ؟!! أَبَنُو إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ أَرَاهُمُ اللهُ آيَاتِهِ ، وَأَنْجَاهُمْ بِمُعْجِزَتِهِ الْكُبْرَى ، يَكْفُرُونَ بِهِ ..؟! يَا لَلْهَوْلِ ..!

وَحَارَ مُوسَى فِي أَمْرِهِ !! مَاذَا يَقُولُ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ ضَاقَتْ عُقُولُهُمْ ، وَتَفِهَ تَفْكِيرُهُمْ ، وَخَبُثَتْ نُفُوسُهُمْ .

وَأَخِيرًا الْتَمَسَ لَهُمْ مِنْ نَفْسِهِ عُذْراً ! لَقَدْ مَرَّتْ عَلَيْهِمْ أَجْيَالٌ ، وَهُمْ فِي رِقِّ الذُّلِّ وَالْعُبُودِيَّةِ ، وَمَرَّتْ عَلَيْهِمْ سِنُونَ طَوِيلَةٌ ، وَهُمْ يَرَوْنَ الْمِصْرِيِّينَ عَاكِفِينَ عَلَى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ ، وَتَقْدِيسِ الْعُجُولِ ، وَتَأْلِيهِ الْفَرَاعِنَةِ ، فَلَا عَجَبَ أَنْ تَلَوَّثَتْ عَقِيدَتُهُمْ بِحُبِّ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ وَالْعُجُولِ .

لِهٰذَا وَقَفَ فِيهِمْ مُوسَى يُعَرِّفُهُمْ بِاللهِ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ ، وَيُبَادِيهِمْ بِالنَّصِيحَةِ وَالإِرْشَادِ بَدَلًا مِنْ أَنْ يُعَنِّفَهُمْ وَيَنْتَهِرَهُمْ ؛ فَقَالَ لَهُمْ :

أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إِلٰهًا ، وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ؟! اللهُ الَّذِي أَرَاكُمْ آيَاتِهِ ، وَأَنْجَاكُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ بِمُعْجِزَتِهِ ، وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضًا سَوْفَ تَدْخُلُونَهَا ، وَوَعَدَكُمْ بِكِتَابٍ يُرْشِدُكُمْ وَيَهْدِيكُمْ تَتَّخِذُونَ غَيْرَهُ بَدِيلًا ؟! بِئْسَ مَا تَفْعَلُونَ .

قَالُوا : وَإِلَى أَيْنَ تَسِيرُ بِنَا ؟

قَالَ : إِلَى جَانِبِ جَبَلِ الطُّورِ الأَيْمَنِ حَيْثُ أَذْهَبُ لِمُلَاقَاةِ رَبِّي .

قَالُوا : لَقَدْ أَجْهَدَنَا السَّيْرُ ، وَأَضَرَّ بِنَا الْعَطَشُ ، وَنَوَدُّ أَنْ نَنْزِلَ عَلَى عَيْنِ مَاءٍ نَسْتَقِي وَنَسْقِي أَوْلَادَنَا وَدَوَابَّنَا .

فَاتَّجَهَ مُوسَى إِلَى رَبِّهِ يَسْأَلُهُ الْمَاءَ ، فَأَمَرَهُ اللّٰهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ هٰذَا الْحَجَرَ الَّذِي أَمَامَكَ يَتَفَجَّرْ لَكَ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا . لِذُرِّيَّةِ كُلِّ وَلَدٍ مِنْ أَبْنَاءِ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ عَيْنٌ مِنْهَا .

وَضَرَبَ مُوسَى بِعَصَاهُ الْحَجَرَ ، فَانْفَجَرَتْ لَهُ عُيُونُ الْمَاءِ الاثْنَتَا عَشْرَةَ . ! !

يَا لَلْجَمَالِ . . ! ! الْمَاءُ يَتَفَجَّرُ مِنَ الْحَجَرِ بِضَرْبَةٍ مِنْ عَصَا مُوسَى ! ! وَتَسَاقَطَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى عُيُونِ الْمَاءِ يَشْرَبُونَ وَيَرْتَوُونَ وَيَبْتَرِدُونَ . فَلَمَّا رَوَّوْا عَطَشَهُمْ ، وَتَرَعْرَعَتْ أَجْسَامُهُمْ ، ذَهَبُوا إِلَى مُوسَى يَشْكُونَ إِلَيْهِ مُتَذَمِّرِينَ : هٰذَا الْمَاءُ قَدْ أَتَيْتَنَا بِهِ ، وَوَفَّرْتَهُ لَنَا ؛ فَأَيْنَ الطَّعَامُ ، وَقَدْ كَادَ زَادُنَا أَنْ يَنْفَدَ ؟ !

فَاتَّجَهَ مُوسَى إِلَى رَبِّهِ مَرَّةً ثَانِيَةً يَسْأَلُهُ الطَّعَامَ لِقَوْمِهِ ، فَاسْتَجَابَ اللّٰهُ دُعَاءَهُ ، وَأَنْزَلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ،



فَكَانَتِ الْمَنُّ مَادَّةً عَلَى أَوْرَاقِ بَعْضِ الأَشْجَارِ ، مِثْلَ الطَّرْفَاءِ حُلْوَةً شَهِيَّةً ، تُغْنِي آكِلَهَا عَنِ الْخُبْزِ وَالْحَلْوِ ؛ وَالسَّلْوَى طَائِرُ السماني ، يَأْتِي إِلَيْهِمْ أَسْرَابًا مُتَلَاحِقَةً ، فَيَكَادُ يُغَطِّي الأَرْضَ بِكَثْرَتِهِ . وَأَقْبَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى الْمَنِّ يَلْتَهِمُونَهُ الْتِهَامًا ، وَعَلَى طَائِرِ السماني يَذْبَحُونَ مِنْهُ وَيَشْوُونَ وَيَأْكُلُونَ .

فَلَمَّا شَبِعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَامْتَلَأَتْ بُطُونُهُمْ — ذَهَبُوا إِلَى مُوسَى يَشْكُونَ إِلَيْهِ مُتَذَمِّرِينَ : هٰذَانِ الْمَاءُ وَالطَّعَامُ ! ! فَأَيْنَ الْمَكَانُ الظَّلِيلُ الَّذِي نَسْتَظِلُّ بِهِ مِنْ وَهَجِ الشَّمْسِ ، وَنَحْتَمِي فِيهِ مِنْ شِدَّةِ حَرِّهَا وَلَفْحِهَا ؟!! وَاتَّجَهَ مُوسَى إِلَى رَبِّهِ مَرَّةً ثَالِثَةً يَسْأَلُهُ الظِّلَّ لِقَوْمِهِ ؛ فَاسْتَجَابَ لَهُ اللهُ ، وَسَاقَ لَهُ الْغَمَامَ الْكَثِيفَ ، فَكَانَ عَلَى رُءُوسِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَالْمِظَلَّةِ الْوَاسِعَةِ ، فَوَقَاهُمْ حَرَّ الشَّمْسِ ، وَلَطَّفَ لَهُمُ الْهَوَاءَ ! وَآنَ لِمُوسَى أَنْ يَذْهَبَ إِلَى مِيقَاتِ رَبِّهِ ، فَأَوْصَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ خَيْرًا ، وَجَعَلَ عَلَيْهِمْ أَخَاهُ هَارُونَ خَلَفًا لَهُ وَرَئِيسًا عَلَيْهِمْ ، وَعَرَّفَهُمْ أَنَّهُ سَيَغِيبُ عَنْهُمْ شَهْرًا ثَلَاثِينَ يَوْمًا ، يَعُودُ إِلَيْهِمْ بَعْدَهُ بِكِتَابِ اللهِ وَتَعَالِيمِهِ وَإِرْشَادَاتِهِ الَّتِي يَسِيرُونَ عَلَيْهَا ، وَيَعْمَلُونَ بِهَا .

٢

وَذَهَبَ مُوسَى لِمِيقَاتِ رَبِّهِ ، فِي سَفْحِ جَبَلِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ، حَيْثُ كَلَّمَهُ اللهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، ثُمَّ اعْتَكَفَ يُعِدُّ نَفْسَهُ لِهَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ ، وَيُطَهِّرُ رُوحَهُ بِالصِّيَامِ لِيَكُونَ أَهْلًا لِلْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ ! وَأَمَرَ اللهُ مُوسَى أَنْ يَصُومَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا ، وَوَاعَدَهُ أَنْ يُكَلِّمَهُ بَعْدَ تَمَامِهَا ! وَمَرَّتِ الثَّلَاثُونَ يَوْمًا ، وَمُوسَى مُعْتَكِفٌ بِالْجَبَلِ وَحِيدًا ، يُؤْنِسُهُ فِي وَحْدَتِهِ مَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِ بِهِ مِنْ مِنَنٍ عَظِيمَةٍ ، وَيُطَمْئِنُ نَفْسَهُ مَا حَبَاهُ بِهِ مِنْ صَبْرٍ وَإِيمَانٍ .

وَحَانَ مِيقَاتُ اللهِ ! وَوَجَبَ عَلَى مُوسَى الِاسْتِعْدَادُ لِمُخَاطَبَةِ اللهِ !

وَأَحَسَّ مُوسَى أَنَّ فَمَهُ قَدْ بَاتَ وَلَهُ رَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ مِنْ أَثَرِ الصِّيَامِ ، فَكَرِهَ أَنْ يُخَاطِبَ رَبَّهُ وَفَمُهُ تَتَصَاعَدُ مِنْهُ هَذِهِ الرَّائِحَةُ ؛ فَأَخَذَ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ شَيْئًا مَضَغَهُ وَلَاكَهُ ثُمَّ لَفَظَهُ ، وَإِذَا بِمَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ قَدْ جَاءَهُ يَسْأَلُهُ : لِمَ أَفْطَرْتَ يَا مُوسَى ؟ !

قَالَ كَرِهْتُ أَنْ أُخَاطِبَ رَبِّي وَرَائِحَةُ فَمِي غَيْرُ طَيِّبَةٍ .

قَالَ الْمَلَكُ : أَمَا عَلِمْتَ يَا مُوسَى أَنَّ رِيحَ فَمِ الصَّائِمِ

عِنْدَ اللهِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ؟! ارْجِعْ وَصُمْ عَشَرَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ ائْتِ إِلى رَبِّكَ. وَفعلَ مُوسَى مَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ، فَصَامَ عَشَرَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ؛ فَلَمَّا أَتَمَّهَا صَعِدَ فوْقَ الْجَبَلِ فِي انْتِظَارِ مُخَاطَبَةِ اللهِ لَهُ! ثُمَّ سَمِعَ صَوْتَ اللهِ يُخَاطِبُهُ!

وَابْتَهَلَ مُوسَى إِلَى رَبِّهِ يَقُولُ: رَبِّ؛ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ!!

وَأَجَابَ اللهُ مُوسَى لَنْ تَرَانِي؛ وَلَـكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ، فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي. نَظَرَ مُوسَى نَحْوَ الْجَبَلِ، وَتَجَلَّى اللهُ لِلْجَبَلِ..!! وَدُكَّ الْجَبَلُ دَكًّا!! وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا..!!

يَا لَهَيْبَةِ اللهِ: وَظَلَّ مُوسَى فِي صَعْقَتِهِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَبْقَى؛ ثُمَّ أَفَاقَ! فَاتَّجَهَ إِلَى اللهِ يَبْتَهِلُ إِلَيْهِ مُعْتَذِراً: سُبْحَانَكَ!! تُبْتُ إِلَيْكَ!! وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ بِعَظَمَتِكَ وَجَلَالِكَ!!

فَقَالَ اللهُ: يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي؛ فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ، وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ.

وَأَعْطَى اللهُ مُوسَى أَلْوَاحًا كَتَبَ لَهُ فِيهَا مَا ارْتَضَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِ، وَمَا أَرَادَ أَنْ يَنْهَاهُمْ عَنْهُ، وَبَيَّنَ فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ. وَقَالَ لَهُ:



خُذْهَا يَا مُوسَى بِقُوَّةٍ، وَاعْمَلْ بِهَا بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ، وَأْمُرْ قَوْمَكَ أَنْ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِ مَا يَجِدُونَ فِيهَا. ثُمَّ قَالَ اللهُ: لِمَاذَا عَجَّلْتَ بِالْمَجِيءِ، وَتَرَكْتَ قَوْمَكَ وَرَاءَكَ يَا مُوسَى؟!

قَالَ مُوسَى هُمْ أُولَاءِ، قَرِيبُونَ مِنِّي، وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى.

قَالَ اللهُ: لَقَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ، وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ. سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا، وَإِنْ يَرَوْا طَرِيقَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ طَرِيقًا لَهُمْ، وَلَا يَسِيرُونَ فِيهِ، وَإِنْ يَرَوْا طَرِيقَ الْغَيِّ وَالضَّلَالِ يَتَّخِذُوهُ طَرِيقًا لَهُمْ وَيَسِيرُونَ فِيهِ. وَيَرْجِعُ إِلَى قَوْمِهِ وَمَعَهُ الْأَلْوَاحُ الَّتِي كَتَبَهَا اللهُ لَهُ وَهُوَ غَضْبَانُ آسِفٌ، يَكَادُ أَنْ يَتَمَيَّزَ غَيْظًا لِمَا أَخْبَرَهُ اللهُ بِمَا فَعَلَهُ قَوْمُهُ فِي غَيْبَتِهِ.

فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُمْ وَاطَّلَعَ عَلَيْهِمْ، وَرَأَى مَا يَفْعَلُونَ — رَأَى أُمُورًا مُنْكَرَةً، رَأَى مَا خَرَجَ بِهِ عَنْ طَوْرِهِ!! وَرَأَى مَا كَادَ أَنْ يُفْقِدَهُ وَعْيَهُ، وَيُذْهِبَ عَقْلَهُ..!!

رَأَى مُوسَى قَوْمَهُ قَدِ اجْتَمَعَ أَكْثَرُهُمْ فِي دَائِرَةٍ وَاسِعَةٍ كَبِيرَةٍ يَرْقُصُونَ وَيُهَلِّلُونَ وَيَمْرَحُونَ وَقَدْ تَوَسَّطَ الدَّائِرَةَ

تِمْثَالُ عِجْلٍ جَسَدٍ يَصْدُرُ عَنْهُ خُوارٌ . . ! !

يَا لَلْجُنُونِ والْخَبَلِ الَّذِى أُصِبْتُمْ بِهِ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ .. ! !

هٰذَا رَسُولُكُمُ الَّذِى أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعُبُودِيَّةِ إِلَى الْأَمَانِ وَالْحُرِّيَّةِ مَا كَادَ يَغِيبُ عَنْكُمْ شَهْرًا وَبَعْضَ شَهْرٍ لِيَأْتِيَ لَكُمْ بِرِسَالَاتِ رَبِّهِ، وَيُحْضِرَ لَكُمْ أَسْفَارَ التَّوْرَاةِ الَّتِى تَتَّبِعُونَ هُدَاهَا ، وَتَحْكُمُوا أَنْفُسَكُمْ بِحُكْمِهَا ، وَتَقْضُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ بِقَانُونِهَا - حَتَّى تَخْرُجُوا عَمَّا هَدَاكُمْ لَهُ ، وَدَعَاكُمْ إِلَيْهِ وَتَتْرُكُوا طَرِيقَ الرُّشْدِ ، وَتَتَّبِعُوا طَرِيقَ الضَّلَالِ ؟ ! !

مَاذَا يَفْعَلُ مُوسَى مَعَ هٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ ؟ ! ! أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ يَصِيحُ بِهِمْ غَاضِبًا حَانِقًا يَقُولُ : بِئْسَ مَا خَلَفْتُمُونِى مِنْ بَعْدِى ، وَمَا صَنَعْتُمْ فِى غَيْبَتِى ؛ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ؟

قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِإِرَادَتِنَا، وَلٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْمِصْرِيِّينَ، فَأَرَدْنَا أَنْ نَتَطَهَّرَ مِنْهَا ، فَقَذَفْنَاهَا فِى النَّارِ كَمَا طَلَبَ مِنَّا السَّامِرِىُّ ، وَكَذٰلِكَ أَلْقَى هُوَ مَا كَانَ مَعَهُ مِنْهَا . ثُمَّ أَخْرَجَ لَنَا هٰذَا الْعِجْلَ ، وَقَالَ لَنَا هٰذَا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسَى . !

وَزَادَ مُوسَى غَضَبًا عَلَى غَضَبٍ ! ! أَيْنَ أَخُوهُ هَارُونُ الَّذِى

أَوْصاهُ بالقَوْمِ خَيْرًا ، وَجَعَلَهُ خَلَفاً لَهُ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَرْجِعَ ؟ ! لِماذا تَرَكَهُمْ يَفعَلُونَ مَا فَعَلُوا ؟ وَيأتُونَ مَا أَتَوْا ؟ !

وَوَقَعَتْ عَيْنا مُوسَى عَلَى أَخِيهِ ، فَأَلْقَى الأَلْوَاحَ مِنْ يَدِهِ ، وَأَسْرَعَ إِلَيْهِ يَأْخُذُ بِرَأسِهِ ، وَيَجُرُّهُ إِلَيْهِ ، وَيَجْذِبُهُ مِنْ لِحْيَتِهِ جَذْباً شَدِيدًا . وَقَالَ هَارُونُ لِأَخِيهِ مُعْتَذِراً . يَا أَخِي ؛ لا تَأْخُذْ بِرَأسي ، وَلا تَجْذِبْ لِحْيَتِي وَلا تَجْعَلْنِي فِي القَوْمِ الظَّالِمِينَ . إِنَّ القَوْمَ قَدِ اسْتَضْعَفُونِي ، وَكادُوا يَقْتُلُونَنِي ، فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ ، لَقَدْ نَهَيْتُهُمْ عَنِ اتِّخَاذِ العِجْلِ إِلهاً ، وَقُلْتُ لَهُمْ : يا قَوْمِ ؛ إِنَّمَا هُوَ فِتْنَةٌ ابْتُلِيتُمْ بِهَا ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ هُوَ الرَّحْمٰنُ ، فَاتَّبِعُونِي ، وَأَطِيعُوا أَمْرِي ؛ وَلٰكِنَّهُمْ صَمُّوا آذانَهُمْ عَنْ نِدَائِي ، وَقالُوا : لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى . فَقَالَ مُوسَى يا هَارُونُ ؛ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَأْخُذَهُمْ بِالشِّدَّةِ ؟ ! أَعَصَيْتَ أَمْرِي ؟ !

قَالَ هَارُونُ : يَا أَخِي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَلَمْ تَنْتَظِرْ رَأْيِي .

فَانْصَرَفَ مُوسَى عَنْ هَارُونَ وَهُوَ يَقُولُ : رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي . وَأَتَى مُوسَى إِلَى السَّامِرِيِّ فَسَأَلَهُ : مَا خَطْبُكَ يا سَامِرِيُّ ؟ !!



قَالَ : لَقَدْ كُنْتُ أَعْرِفُ مَا لَا يَعْرِفُ الْقَوْمُ ، وَأَفْهَمُ مَا لَا يَفْهَمُونَ ، وَأَبْصَرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ . فَلَمَّا طَالَتْ غَيْبَتُكَ عَمَّا وَاعَدْتَ قَوْمَكَ عَلَيْهِ — سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي أَنْ أَفْعَلَ مَعَهُمْ مَا فَعَلْتُ .

وَنَظَرَ مُوسَى إِلَى السَّامِرِيِّ نَظْرَةً غَاضِبَةً ، وَصَاحَ عَلَيْهِ بِصَوْتٍ ارْتَعَدَتْ لَهُ فَرَائِصُ السَّامِرِيِّ :

اِذْهَبْ ؛ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا يَمَسَّنِي أَحَدٌ ، وَإِنَّ لَكَ فِي الْآخِرَةِ مَوْعِداً لَنْ يُخْلِفَهُ اللهُ مَعَكَ . وَسَوْفَ تَرَى إِلٰهَكَ الَّذِي ظَلَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً ، كَيْفَ نُحَرِّقُهُ وَنَنْسِفُهُ فِي الْبَحْرِ نَسْفاً ! ! !

وَذَهَبَ مُوسَى إِلَى حَيْثُ أَلْقَى الْأَلْوَاحَ فَرَفَعَهَا ، وَصَاحَ عَلَى قَوْمِهِ بِصَوْتٍ رَدَّدَتْ صَدَاهُ جَنَبَاتُ الْجِبَالِ وَتَجَاوَبَتْ بِهِ أَنْحَاءُ الصَّحْرَاءِ .

إِنَّمَا إِلٰهُكُمُ اللهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ، وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً .

٣

وَأَدْرَكَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمْ قَدْ أَخْطَئُوا وَضَلُّوا ، وَسُقِطَ فِي يَدِ الْفَرِيقِ الَّذِى عَبَدَ الْعِجْلَ ، فَقَالُوا : لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا ، وَيَغْفِرْ لَنَا ، لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ وَلَامَ الْفَرِيقُ الَّذِى لَمْ يَعْبُدِ الْعِجْلَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ تَرَكُوا إِخْوَانَهُمُ الَّذِينَ عَبَدُوا الْعِجْلَ يَفْعَلُونَ مَا فَعَلُوا دُونَ أَنْ يُقَاتِلُوهُمْ لِيَرْجِعُوهُمْ عَمَّا اتَّخَذُوهُ ، فَذَهَبُوا إِلَى مُوسَى يُبْدُونَ لَهُ أَسَفَهُمْ ، وَيَعْتَذِرُونَ لَهُ عَمَّا فَرَطَ مِنْهُمْ فِي حَقِّ اللهِ ، وَلٰكِنَّ مُوسَى لَمْ يَقْبَلْ أَنْ يَسْتَمِعَ إِلَى عُذْرِهِمْ ، أَوْ يَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ ، حَتَّى يُقَاتِلَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ، وَقَالَ لَهُمْ :

يَا قَوْمِ ؛ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ ، فَتُوبُوا إِلَى اللهِ ، بِأَنْ يُقَاتِلَ الْفَرِيقُ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذِ الْعِجْلَ الْفَرِيقَ الَّذِى اتَّخَذَهُ ؛ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ! !

وَأَصْبَحَ الصَّبَاحُ عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ وَقَدِ امْتَشَقُوا الرِّمَاحَ يَقْتَتِلُونَ حَتَّى لَيَقْتُلُ الْأَخُ أَخَاهُ وَالصَّاحِبُ صَاحِبَهُ ، وَالْأَبُ ابْنَهُ ، بَيْنَمَا النِّسَاءُ يُعْوِلْنَ وَيُوَلْوِلْنَ ، وَالْأَطْفَالُ يَصْرُخُونَ

وَيَنُوحُونَ وَيَطْلُبُونَ مِنْ مُوسَى أَنْ يَطْلُبَ لَهُمُ الْعَفْوَ مِنْ رَبِّهِمْ، لَعَلَّهُ يَعْفُو عَنْهُمْ وَيَرْحَمُهُمْ. أَمَرَ مُوسَى بِوَقْفِ الْقِتَالِ، وَتَحَاجَزَ الْفَرِيقَانِ بَعْدَ أَنْ هَلَكَ مِنْ كُلٍّ مِنْهُمَا عَدَدٌ كَبِيرٌ.

وَتَخَيَّرَ مُوسَى مِنَ الْفَرِيقَيْنِ سَبْعِينَ رَجُلًا كَثِيرُهُمْ مِنَ الشُّيُوخِ، وَقَلِيلُهُمْ مِنَ الشَّبَابِ؛ وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ يُوشَعُ بْنُ نُونَ، تَابِعُ مُوسَى الْمُخْلِصُ الَّذِي تَخَيَّرَهُ تِلْمِيذًا لَهُ، لِإِيمَانِهِ وَوَفَائِهِ، وَكَانَ مِنْ ذُرِّيَّةِ يُوسُفَ؛ وَمِنْهُمْ زَوْجُ أُخْتِهِ مَرْيَمَ كَالِبُ بْنُ يَفْنَّةَ لِيَذْهَبُوا مَعَهُ إِلَى جَبَلِ الطُّورِ، لِأَجْلِ أَنْ يَسْأَلُوا رَبَّهُمُ التَّوْبَةَ وَالْعَفْوَ وَالْغُفْرَانَ.

خَرَجَ الرِّجَالُ السَّبْعُونَ بِإِذْنِ اللهِ، وَخَرَجَ مَعَهُمْ مُوسَى، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى الْجَبَلِ، كَلَّمَ مُوسَى رَبَّهُ، يَسْأَلُهُ التَّوْبَةَ وَالْغُفْرَانَ لِقَوْمِهِ، وَرَفَعَ صَوْتَهُ بِالدُّعَاءِ عَلَى مَسْمَعٍ مِنَ الرِّجَالِ السَّبْعِينَ الَّذِينَ أَتَوْا يَطْلُبُونَ مِنَ اللهِ الْعَفْوَ وَالتَّوْبَةَ وَالْمَغْفِرَةَ لَهُمْ وَلِقَوْمِهِمْ عَلَى لِسَانِ مُوسَى — سَمِعُوا كَلَامَ مُوسَى وَمُنَاجَاتَهُ لِلّٰهِ، كَمَا سَمِعُوا كَلَامَ اللهِ لِمُوسَى! سَمِعُوهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرَوْا شَيْئًا فَمَاذَا كَانَ مِنْهُمْ فِي هٰذِهِ اللَّحْظَةِ يَا تُرَى؟!

كَانَ أَنْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِمُوسَى : يَا مُوسَى ؛ إِنَّا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً ! !

يَا لَلْعِصْيَانِ وَالتَّمَرُّدِ . . ! ! يَا لَلْغَثَاثَةِ وَلُؤْمِ الطَّبْعِ . .

لَمْ تَكْفِهِمُ النِّعْمَةُ الْجَزِيلَةُ الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَيْهِمْ . . ! وَلَمْ تُقْنِعْهُمُ الأَدِلَّةُ الْكَثِيرَةُ الَّتِي سَاقَهَا اللهُ إِلَيْهِمْ ! وَلَمْ يَحْمَدُوا لِلَّهِ مَا شَرَّفَهُمْ بِهِ مِنْ سَمَاعِ مُخَاطَبَتِهِ لِرَسُولِهِ ! بَلْ طَمِعُوا فِي أَنْ يَرَوْهُ كَيْ يُصَدِّقُوا وَيُؤْمِنُوا بِهِ وَبِرَسُولِهِ ! !

وَصَعَقَهُمُ اللهُ ، وَمَا كَانَتِ الصَّعْقَةُ عَلَيْهِمْ بِكَثِيرٍ . . !

وَنَظَرَ مُوسَى إِلَى السَّبْعِينَ رَجُلاً الَّذِينَ تَخَيَّرَهُمْ مِنْ قَوْمِهِ لِيَكُونُوا رُسُلاً عَنْهُمْ إِلَى اللهِ يَطْلُبُونَ تَوْبَتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ ، فَإِذَاهُمْ قَدِ اسْتَجْلَبُوا بِسُوءِ تَصَرُّفِهِمْ سُخْطَهُ وَغَضَبَهُ !

وَخَرَّ مُوسَى لِلَّهِ مُتَضَرِّعاً مُتَذَلِّلاً مُتَوَسِّلاً :

رَبِّ ؛ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ ، أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ؟ ! ! إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ، تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ؛ أَنْتَ وَلِيُّنَا : فَاغْفِرْ لَنَا ، وَارْحَمْنَا ، وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ . رَبِّ ؛ اكْتُبْ لَنَا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي

الآخِرَةِ حَسَنَةً ، إِنَّا تُبْنَا إِلَيْكَ .

قَالَ اللهُ : عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ، وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ .

وَأَدْرَكَ مُوسَى أَنَّ اللهَ سَيَبْعَثُ رَسُولًا تَتْبَعُهُ أُمَّةٌ تَكُونُ خَيْرًا مِنْ أُمَّتِهِ ، تَنَالُ رِضَاءَ اللهِ ، وَتَنَالُ رَحْمَتَهُ !

وَعَاوَدَ مُوسَى الِابْتِهَالَ إِلَى اللهِ فِي أَنْ يَعْفُوَ عَنْ قَوْمِهِ ، وَيَرُدَّ إِلَيْهِمْ رُسُلَهُمُ الَّذِينَ تَخَيَّرَهُمْ مِنْ بَيْنِهِمْ .

مَا أَوْسَعَ حِلْمَكَ يَا رَبِّ ! وَمَا أَشْمَلَ عَفْوَكَ ! !

وَبَعَثَ اللهُ لِمُوسَى السَّبْعِينَ رَجُلًا بَعْدَ مَوْتِهِمْ ! بَعَثَهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ! يَنْظُرُ مَنْ بُعِثَ أَوَّلًا كَيْفَ يَحْيَا مَنْ بَعْدَهُ ، وَيَعْجَبُ مِنْ قُدْرَةِ اللهِ مُمِيتِه وَمُحْيِيهِ . . ! ! فَهَلْ تَطْلُبُونَ بَعْدَ ذَلِكَ آيَةً يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ؛ لِتُصَدِّقُوا بِاللهِ وَتَتْبَعُوا رَسُولَهُ ؟ !

وَعَادَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ الَّذِينَ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِكْرَامًا لَهُ ، لِيُعَلِّمَهُمْ وَيُرْشِدَهُمْ بِمَا كَتَبَهُ اللهُ لَهُ وَيُوَجِّهَهُمْ إِلَى حَيْثُ يَدْخُلُونَ الْأَرْضَ الَّتِي وَعَدَهُمُ اللهُ بِهَا .

٤

وَاعَدَ مُوسَى قَوْمَهُ بِجِوَارِ جَبَلِ الطُّورِ مَجْلِسًا يَجْلِسُ إِلَيْهِمْ فِيهِ ، يُعَرِّفُهُمْ حُكْمَ مَا جَاءَهُمُ اللَّهُ بِهِ فِي أَسْفَارِ التَّوْرَاةِ ، وَيُبَصِّرُهُمْ بِأَوَامِرِ اللهِ وَنَوَاهِيهِ وَقَابَلَ نَفَرٌ قَلِيلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَحْكَامَ اللهِ بِرِضًى وَقَبُولٍ، أَمَّا أَكْثَرُهُمْ فَقَدْ أَبْدَوْا ضِيقَهُمْ وَتَذَمُّرَهُمْ مِنْ أَحْكَامِ اللهِ وَتَعْلِيمَاتِهِ ، وَقَالُوا : إِنَّنَا لاَ نَسْتَطِيعُ صَبْرًا عَلَى هٰذِهِ التَّعْلِيمَاتِ ! وَلَيْسَتْ لَنَا قُدْرَةٌ عَلَى تَحَمُّلِ هٰذِهِ الأَحْكَامِ !

وَ ... وَوَجَدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْجَبَلَ يَرْتَفِعُ مِنْ فَوْقِهِمْ رُوَيْدًا رُوَيْدًا حَتَّى إِذَا مَا كَانَ أَعْلَى مِنْ رُءُوسِهِمْ ظَلَّ مُعَلَّقًا فَوْقَهُمْ كَالظُّلَّةِ.

وَانْبَطَحَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى الأَرْضِ ذُعْرًا ؛ وَوُجُوهُهُمْ نِصْفُهَا إِلَى أَعْلَى تَنْظُرُ عُيُونُهُمْ إِلَى الْجَبَلِ خَشْيَةَ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِمْ فَيَدُكَّهُمْ دَكًّا . . ! ! وَجَاءَهُمْ أَمْرُ اللهِ عَلَى لِسَانِ مُوسَى أَنْ :

خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ، وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ، وَاعْرِفُوهُ لَعَلَّكُمْ تَكُونُونَ أَتْقِيَاءَ مُؤْمِنِينَ ! !

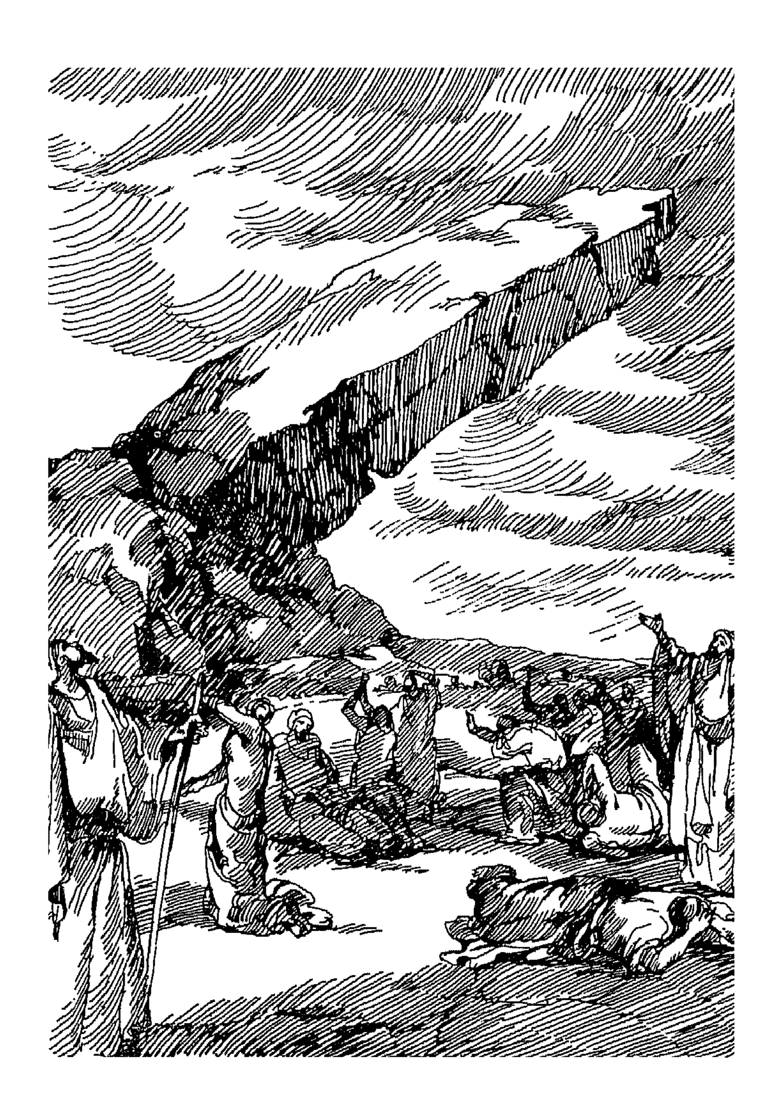
فَلَمْ يَسَعْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِزَاءَ هٰذِهِ الآيَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي أَرَاهُمُ

اللهُ إِيَّاهَا إِلاَّ أَنْ يُعْطُوا مُوسَى مِيثَاقَ إِيمَانِهِمْ بِاللهِ وَ بِتَعَالِيمِهِ !

وَمَرَّتِ الْأَيَامُ عَلَى مُوسَى وَهُوَ يُلَقِّنُ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَعَالِيمَ دِينِهِمْ ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى مَا يَأْخُذُونَ وَمَا يَتْرُكُونَ ، وَيُعَرِّفُهُمْ أَنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَمَّا ارْتَكَبُوا مِنْ سَيِّئَاتٍ ؛ إِذْ كَانَتْ تَوْبَتُهُمْ تَوْبَةً نَصُوحًا ؛ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا أَنْ عَاوَدَتْهُمْ نَزْعَةُ التَّمَرُّدِ وَالْعِصْيَانِ ، فَقَالُوا لِمُوسَى : يَا مُوسَى ؛ لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ ، فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ ؛ فَإِنَّا نُرِيدُ بَقْلاً وَقِثَّاءً وَثُومًا وَعَدَسًا وَبَصَلاً !

وَنَظَرَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ دَهِشًا مِنْ قَوْلِهِمْ ، وَسَأَلَهُمْ مُسْتَنْكِراً لِمَا سَمِعَ : أَتَسْتَبْدِلُونَ مَا أَعْطَاكُمُ اللهُ مِنْ طَيِّبَاتٍ بِهَذَا الَّذِي تَطْلُبُونَ ؟!

قَالُوا : نَعَمْ ؛ فَمَا تَعَوَّدْنَا فِي مِصْرَ أَنْ نَأْكُلَ صِنْفًا وَاحِداً مِنَ الطَّعَامِ قَالَ : إِذَنْ ؛ أُدْخُلُوا بَلَدًا مِنَ الْبِلَادِ تَجِدُوا فِيهِ مَا تَطْلُبُونَ . وَبِذَلِكَ تَاقَتْ نَفْسُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى دُخُولِ مُدُنٍ وَبِلَادٍ يَجِدُونَ فِيهَا مِثْلَ مَا كَانُوا يَجِدُونَ بِمِصْرَ مِنْ أَنْهَارٍ وَأَزْهَارٍ وَأَطْيَارٍ ، وَيَأْكُلونَ مِثْلَ مَا كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ مُخْتَلِفِ النَّبَاتِ وَالْأَثْمَارِ . فَسَارُوا مَعَ مُوسَى نَحْوَ فِلَسْطِينَ ، لِيَدْخُلُوا الْأَرْضَ الَّتِي وَعَدَ اللهُ أَنْ تَكُونَ لِأَبْنَاءِ إِسْرَائِيلَ .



وَاجْتَازَ مُوسَى بِبَنِى إِسْرَائِيلَ سُهُولَ شِبْهِ جَزِيرَةِ سِينَا مِنَ الْجُنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ ، حَتَّى إِذَا مَا قَارَبَ بِهِمْ حُدُودَ فِلَسْطِينَ ، أَرْسَلَ اثْنَىْ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ رِجَالِهِ يَقْدُمُونَهُمْ إِلَى فِلَسْطِينَ : مِنْ بَيْنِهِمْ يُوشَعُ بْنُ نُونَ ، الْمُخْلِصُ لَهُ ، الْمُتَّبِعُ تَعَالِيمَه . وَمِنْ بَيْنِهِمْ أَيْضاً زَوْجُ أُخْتِهِ الْمُخْلِصُ لَهُ كَالِبُ بْنُ يَغُنَّةَ .

سَارَ هٰؤُلَاءِ الرِّجَالُ يَسْتَطْلِعُونَ أَحْوَالَ سُكَّانِ فِلَسْطِينَ الَّذِينَ أَمَرَ اللهُ بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنْ يَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ فِيهَا ، وَيُخْرِجُوهُمْ مِنْهَا .

وَسَارَ الرُّوَّادُ الِاثْنَا عَشَرَ حَتَّى نَزَلُوا بِإِحْدَى الْبِلَادِ الْوَاقِعَةِ دَاخِلَ حُدُودِ فِلَسْطِينَ ، لِيَسْتَكْشِفُوا لِمُوسَى أَحْوَالَ أَهْلِهَا ، وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ قُوَّةٍ ، وَمَا لَهُمْ مِنْ عُدَّةٍ ، وَرَأَى الِاثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مَا هَالَهُمْ ، وَمَلَأَ قُلُوبَهُمْ رَهْبَةً وَرُعْباً وَفَزَعاً ! !

رَأَوْا سُكَّانَ فِلَسْطِينَ رِجَالًا أَقْوِيَاءَ عَمَالِقَةً ، كِبَارَ الْأَجْسَامِ ، جَبَابِرَةً ؛ فَهَابُوهُمْ ، وَرَهِبُوا جَانِبَهُمْ ، وَسَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً : كَيْفَ لَنَا بِدُخُولِ هٰذِهِ الْأَرْضِ الَّتِى يَسْكُنُهَا مِثْلُ

هٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ ؟! فَأَجَابَ يُوشَعُ وَكَالِبُ أَصْحَابَهُمَا :

مَا عَلَيْنَا أَنْ نُطْلِعَ مُوسَى عَلَى مَا رَأَيْنَا . وَعَلَيْنَا أَنْ نَجْعَلَ ذٰلِكَ سِرًّا بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُوسَى ، فَلَا نُخْبِرَ أَحَداً مِنْ قَوْمِنَا بِهِ حَتَّى لَا نُخِيفَهُمْ ، وَنُثَبِّطَ عَزَائِمَهُمْ ؛ وَمُوسَى بَعْدَ ذٰلِكَ يَرَى مَا يَرَى .

وَرَجَعَ وَفْدُ مُوسَى إِلَى جَمَاعَتِهِمْ ، وَأَخْبَرُوا مُوسَى بِمَا رَأَوْا وَمَا شَاهَدُوا ؛ فَقَالَ لَهُمْ بِلَهْجَةِ الْوَاثِقِ بِمَا وَعَدَهُ اللهُ :

لَقَدْ أَمَرَنَا اللهُ أَنْ نَدْخُلَ الْأَرْضَ فَنُقَاتِلَ أَهْلَهَا ، وَوَعَدَنَا أَنْ تَكُونَ لَنَا ، وَاللهُ لَا يُخْلِفُ وَعْداً وَعَدَهُ .

وَانْصَرَفَ بَعْضُ رِجَالِ الْوَفْدِ مِنْ حَضْرَةِ مُوسَى إِلَى آلِهِمْ وَذَوِيهِمْ يُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِمَا رَأَوْا فِي أَرْضِ الْجَبَابِرَةِ ! !

فَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جَمِيعاً قَدْ عَلِمُوا أَنَّ الْأَرْضَ الَّتِي وَعَدَهُمُ اللهُ بِهَا ، وَالَّتِي يُرِيدُ مُوسَى أَنْ يُدْخِلَهُمْ إِلَيْهَا لِيُقَاتِلُوا أَهْلَهَا ، هِيَ أَرْضٌ يَسْكُنُهَا عَمَالِقَةٌ ، أَشِدَّاءُ ، جَبَابِرَةٌ ، أَقْوِيَاءُ ، لَا قِبَلَ لِمِثْلِهِمْ بِهِمْ ؛ فَامْتَلَأَتْ بِالرَّهْبَةِ قُلُوبُهُمْ ، وَجَزِعَتْ نُفُوسُهُمْ ، وَتَعَاهَدُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ عَلَى أَلَّا يُطِيعُوا مُوسَى ، وَأَلَّا يَدْخُلُوهَا !

وَجَاءَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ يُرْشِدُهُمْ وَيُوَجِّهُهُمْ ، وَيُعِدُّهُمُ الْإِعْدَادَ اللَّازِمَ لِيَوْمِ الدُّخولِ إِلَى فِلَسْطِينَ ! وَلَـٰكِنَّ قَوْمَهُ كَانوا عَنْ إِرْشَادِهِ مُنْصَرِفِينَ ، فَلَمَّا أَعْلَمَهُمْ بِالْيَوْمِ الَّذى حَدَّدَهُ لِدُخُولِهِمْ فِلَسْطِينَ قَالُوا يَا مُوسَى ؛ إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ دُخولَ هَـٰذِهِ الْأَرْضِ ، فَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ بِهَا نَاساً جَبَّارِينَ .

قَالَ مُوسَى : إِنْ تَدْخُلُوهَا يُخْرِجْهُمُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْهَا ، وَتَكُونُوا أَنْتُمْ بِإِذْنِ اللهِ الْغَالِبِينَ .

قَالُوا فِي إِصْرَارٍ وَعِنَادٍ : إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ الدُّخُولَ أَبَدًا .

وَلَمْ يَسْتَطِعْ مُوسَى صَبْراً إِزَاءَ مَا لَقِيَ مِنْ عِنَادِ قَوْمِهِ ، وَجُبْنِهِمْ ، وَسَخَفِ عُقُولِهِمْ . فَصَاحَ عَلَيْهِمْ يُؤَنِّبُهُمْ وَيَلُومُهُمْ ، وَيُذَكِّرُهُمْ بِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِمْ ، وَرِفْقِهِ بِهِمْ ، وَوَعْدِهِ لَهُمْ :

يَا قَوْمِ ؛ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ ، وَجَعَلَكُمْ أَحْرَاراً فِي نُفُوسِكُمْ وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً غَيْرَكُمْ . يَا قَوْمِ : ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، فَتُصْبِحُوا خَاسِرِينَ .

فَكَانَ جَوَابُ قَوْمِهِ : يَا مُوسَى ؛ إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ .

وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا، فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ.

وَأَحَسَّ يُوشَعُ بْنُ نُونَ وَكَالِبُ بْنُ يَعْنَةَ أَنَّ مُوسَى قَدْ غَلَى مِرْجَلُ غَضَبِهِ، وَأَنَّهُ قَدْ نَفِدَ صَبْرُهُ وَشَعَرَ أَنَّهُ لَمْ تَعُدْ لَهُ طَاقَةٌ عَلَى احْتِمَالِ عِنَادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَمْ يَبْقَ فِي مَقْدُورِهِ التَّجَاوُزُ عَنْ سَخَفِهِمْ، وَبُرُودِ طَبْعِهِمْ، وَقُبْحِ عِنَادِهِمْ! فَأَسْرَعَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَتَوَسَّلَانِ إِلَيْهِمْ:

ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ، فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ، وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

وَلَكِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ أَلِفُوا الذُّلَّ، وَأُرْضِعُوا الْعُبُودِيَّةَ، وَتَمَكَّنَ مِنْ نُفُوسِهِمُ الصَّغَارُ وَالْهَوَانُ، وَطُبِعَتْ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْجُبْنِ وَالْخَوْفِ، فَلَمْ يَعْرِفُوا مَا هِيَ الْحُرِّيَّةُ، وَلَمْ يُدْرِكُوا مَعْنَى مَا هُوَ الْقِتَالُ — الْتَفَتُوا إِلَى مُوسَى يَقُولُونَ لَهُ بِعِنَادِهِمُ الْمُنَفِّرِ:

يَا مُوسَى؛ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا، فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا؛ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ.

خَسِئْتُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ قَوْمٍ لِئَامٍ!!

وَلَمْ يَتَمَالَكْ مُوسَى نَفْسَهُ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ صَبْراً عَلَى هٰذَا الْعِنَادِ السَّخِيفِ . فَهَبَّ يَسْتَجِيرُ اللهَ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ لَا يُقِيمُونَ وَزْناً لِنَبِيِّهِمْ ، وَلَا يَأْبَهُونَ لِنَصِيحَةِ رَسُولِهِمْ . وَنَاشَدَ رَبَّهُ أَنْ يَكُونَ حَكَماً بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ قَائِلًا :

رَبِّ : إِنِّى لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ، فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ .

وَهٰكَذَا أَخْرَجَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مُوسَى عَنْ حِلْمِهِ الَّذِى عَامَلَهُمْ بِهِ طَوِيلًا ! وَحَادُوا بِهِ عَنْ صَبْرِهِ الَّذِى صَبَرَهُ مَعَهُمْ عَلَى كُلِّ مَا أَتَوْهُ مِنْ جُرْمٍ وَفِسْقٍ وَعِنَادٍ !

وَأَجَابَ اللهُ مُوسَى إِلَى سُؤَالِهِ الَّذِى سَأَلَهُ إِيَّاهُ ، وَحَكَمَ عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ بِمَا قَدَّمُوا لِأَنْفُسِهِمْ مِنْ شَرٍّ ، فَقَالَ :

فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى الْأَرْضِ .

وَكَانَ حُكْمُ اللهِ عَدْلًا ! !

أَشْفَقَ مُوسَى عَلَى قَوْمِهِ أَنْ يَتِيهُوا فِى الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَكَأَنَّهُ أَحَسَّ أَنَّهُ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُصَابِرَهُمْ ، وَيَصْبِرَ عَلَى بَلْوَاهُمْ كَمَا صَبَرَ مِنْ قَبْلُ !

فَامْتَلأَتْ نَفْسُهُ حُزْناً عَلَى أَنَّهُ دَعَا رَبَّهُ لإِنْزَالِ الْعِقَابِ بِهِمْ ، وَكَانَ السَّبَبَ فِي حِرْمَانِهِمْ مِنْ أَرْضِهِمْ ! !

وَلٰكِنَّ اللهَ لَمْ يَرْضَ أَنْ يُحْزِنَ نَبِيَّهُ وَرَسُولَهُ مُوسَى مِنْ أَجْلِ قَوْمِهِ الَّذِينَ آذَوْهُ وَعَصَوْهُ حَتَّى وَصَفَهُمْ هُوَ نَفْسُهُ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ فَاسِقُونَ ، فَأَمَرَهُ بِقَوْلِهِ :

يَا مُوسَى ، لَا تَحْزَنْ وَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ .

فِي هٰذَا الْوَقْتِ ارْتَاحَتْ نَفْسُ مُوسَى ، وَاطْمَأَنَّ قَلْبُهُ ، وَرَضِيَ ، وَلَمْ يُحْزِنْهُ أَنْ دَعَا عَلَى قَوْمِهِ الَّذِينَ فَسَقُوا ، وَخَرَجُوا عَنِ الطَّاعَةِ ، وَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ .

فَأَطَاعَ رَبَّهُ ، وَتَقَبَّلَ بِقَلْبٍ مُطْمَئِنٍّ حُكْمَ اللهِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِحِرْمَانِهِمْ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي وَعَدَ اللهُ أَبَاهُمْ إِسْرَائِيلَ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ . وَوَاجَهَ بِنَفْسٍ مُطْمَئِنَّةٍ تَسَاؤُلَ قَوْمِهِ وَلَوْمَهُمْ لَهُ بِقَوْلِهِمْ : مَاذَا فَعَلْتَ بِنَا يَا مُوسَى ؟ !

وهكذا حُرِمَ بنو إسرائيلَ من دُخُولِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ الّتى خرجُوا مِنْ مِصْرَ لِيدْخُلُوها جَزَاءَ كِبْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ وعِصْيَانِهِمْ ! . .

وَهٰكَذَا كُتِبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتِيهُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، لا يَعْرِفُونَ لَهُمْ بَلَدًا وَلا مُسْتَقَرًّا !

وَمَضَتْ عَلَيْهِمُ الْأَيَّامُ مُتَتَابِعَةً ، وَمَرَّتْ بِهِمُ السِّنُونَ ، وَهُمْ سَائِحُون تَائِهُونَ هَائِمُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ ، لَا يَسْتَطِيعُونَ الِاسْتِقْرَارَ بِمَوضِعٍ وَلَا الدُّخُولَ إِلَى أَيِّ بَلَدٍ مِنَ الْبِلَادِ .

فَهَلْ كَانَ نُزُولُ هٰذَا الْبَلاءِ بِهِمْ سَبَبًا فِي إِصْلَاحِهِمْ ، وَرُجُوعِهِمْ عَنْ غَيِّهِمْ وَضَلَالِهِمْ وَعِنَادِهِمْ ؟ ! !

كَلَّا ! وَأَيْمُ الْحَقِّ . . ! !

فَمَا زَالَ بَنُو إِسْرائِيلَ رَغْمَ مَا أَصَابَهُمْ جَزَاءَ عِنَادِهِمْ لِنَبِيِّهِمْ كَمَا كَانُوا مِنْ قَبْلُ ! نَفْسٌ وَضِيعَةٌ وَرُوحٌ خَبِيثَةٌ ، وَطَبْعٌ لَئِيمٌ ، لا يَكُفُّونَ عَنْ إِيذَاءِ نَبِيِّهِمْ مُوسَى ، وَمُعَانَدَتِهِ : حَتَّى

لطَالَمَا جَأَرَ مِنْهُمْ مُوسَى بالشَّكْوَى قَائِلاً :

يَا قَوْمِ ؛ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللّٰهِ إِلَيْكُمْ ؟ ! !

وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ سَخَفِهِمْ وَعُتُوِّهِمْ مَعَهُ أَنِ اتَّهَمُوهُ بِقَتْلِ أَخِيهِ هَارُونَ ، حِينَ مَاتَ هَارُونُ وَهُوَ مَعَهُ بِجَبَلِ هُود ، وَدَفَنَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللّٰهُ !

وَلَمْ تَبْرَأْ سَاحَةُ مُوسَى لَدَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى أَرَاهُمُ اللّٰهُ بِآيَاتِهِ هٰرُونَ وَلَيْسَ بِهِ أَثَرٌ لِقَتْلٍ !

وَمَاتَ مُوسَى دُونَ أَنْ تَطَأَ قَدَمُهُ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَانَ يُرِيدُ الدُّخُولَ إِلَيْهَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمِهِ ، وَإِنَّمَا أَمَرَهُ اللّٰهُ أَنْ يَصْعَدَ عَلَى جَبَلِ نبو ، وَأَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا ؛ فَصَعِدَ فَوْقَ الْجَبَلِ وَظَلَّ يَتَطَلَّعُ إِلَى هٰذِهِ الْأَرْضِ طَوِيلاً !

وَهُنَاكَ فَوْقَ الْجَبَلِ مَاتَ وَدُفِنَ ، وَهُوَ يُشْرِفُ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي لَمْ يَأْذَنِ اللّٰهُ لَهُ بِدُخُولِهَا .

وَمَرَّتِ الْأَرْبَعُونَ سَنَةً الَّتِي حَكَمَ اللّٰهُ بِهَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالتِّيهِ ! !

مَاتَ خِلاَلَهَا كُلُّ رِجَالِ بَنِى إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ آذَوْا مُوسَى وَعَصَوْهُ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ ذُرِّيَّتُهُمُ الَّذِينَ كَانُوا حِينَئِذٍ صِغَارًا ، فَشَبُّوا ، وَصَارُوا رِجَالاً وَشَبَابًا ، رَتَعُوا فِى الْحُرِّيَّةِ ، وَأَلِفُوا الاِسْتِقْلاَلَ ، فَلَمْ يُعَارِضُوا يُوشَعَ بْنَ نُونَ الَّذِى تَوَلَّى أَمْرَ بَنِى إِسْرَائِيلَ بَعْدَ مُوسَى بِأَمْرِ اللهِ حِينَ أَهَابَ بِهِمْ أَنْ يَدْخُلوا إِلَى فِلَسْطِينَ .

فَدَخَلُوهَا مَعَهُ ، وَلٰكِنَّ نُفُوسَهُمُ الَّتِى أُشْرِبَتْ حُبَّ الْعِصْيَانِ وَالْعِنَادِ مِنْ أَصْلاَبِ آبَائِهِمْ ، وَلِبَانِ أُمَّهَاتِهِمْ — عَادَتْ فَعَاوَدَتْهُمْ ، فَعَصَوْا يُوشَعَ بْنَ نُونَ حِينَ أَمَرَهُمْ أَنْ يَسْجُدُوا لِلّٰهِ شُكْرًا وَهُمْ دَاخِلُونَ إِلَى أَرْضِ فِلَسْطِينَ ، وَأَنْ يَقُولُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ اللهُ أَنْ يَقُولُوهُ ، فَبَدَّلُوا بِقَوْلِ اللهِ قَوْلاً آخَرَ ، وَبِذَلِكَ حَقَّ عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ .

مجموعة قصص الأنبياء

مجموعة جديدة فى أسلوب سهل ممتع ، وإخراج أنيق جميل، للصغار والكبار، تصف حياة الأنبياء ، وجليل أعمالهم ، وتسرد ما صادفهم من حوادث مع أقوامهم ، خالية من الشوائب والإسرائيليات حتى تظل العقيدة سليمة نقية تمكن الإنسان من التقرب إلى الله تعالى وحده ، والاعتصام بدينه وتعاليمه ، والتحلى بالفضائل الحسنة ، والتمسك بالأخلاق الكريمة .

برنامج المجموعة

١ – آدم
٢ – نوح
٣ – هود
٤ – صالح
٥ – إبراهيم الخليل
٦ – إسماعيل الذبيح
٧ – يوسف الصديق
٨ – يوسف العفيف
٩ – يوسف على خزائن مصر
١٠ – موسى الرضيع
١١ – موسى والسحرة
١٢ – موسى وبنو إسرائيل
١٣ – داوود
١٤ – سليمان وملك الجزائر
١٥ – سليمان وبلقيس
١٦ – يونس
١٧ – أيوب
١٨ – ابنة عمران
١٩ – عيسى المسيح
٢٠ – الحواريون

ثمن النسخة ٣ قروش



دار المعـــارف